مدعو النبوه والرد عليهم

الدكتور يحـي محمد ربيـع
الأستاذ المساعد بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية
كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية
جامعة قطر

مقدمة البحث :

أحمد الله تعالى ، وأصلي وأسلم على خير خلقه، وخاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد وبعد . .

فانه أثناء دراستي لبعض فرق الغلاة ، وجدت الغلاة قديما وحديثا يشتركون في قضية ادعاء النبوة ، وكانوا يقدمون لهذا الادعاء بدعوى الاصلاح والتجديد حينا، أو زعم الرؤى والمنامات والمهدية أحيانا ، وفي الأعم الأغلب كانوا يجعلون ادعاء النبوة توطئة لادعاء الحلول والألوهية .

لهذا فقد استخرت الله تعالى في كتابة بحث عن مدعى النبوة والرد عليهم ، حيث أن ادعاء النبوة هو الأمر الوسط بين ادعاء الاصلاح والمهدية ، وبين ادعاء الألـوهية ، فهو حلقة الوصل بينهما ، كما أن ادعاء الاصلاح لا ينكر، وادعاء الألوهية هو بعينه المنكر ، أما ادعاء النبوة فربما ينطلى على بعض ضعاف النفوس والعقيدة ممن يتبعون هؤلاء .

وادعاء النبوة قد حدث في عصر النبوة، ومعرفة موقف النبى ـ ﷺ ـ من ذلك له أهميته وضرورته ، وهو أمر يتناقض مع صريح الكتاب والسنة، ويخرج صاحبه عن اجماع الأمة .

لكل هذا تبدو أهمية هذا البحث وبخاصة أننا نعيش عصرا نهدد فيه كل حين وآخـر باخـتراق الصليبية واليهـودية لعقـائـدنا ، وسيرى القارىء في هذا البحث ـ ان شاء الله تعالى ـ أن لهؤلاء المدعين صلات وثيقة بهما .

وقد قسمت بحثى هذا ثلاثة فصول :

الفصـل الأول : نماذج من مدعي النبوة قديما وحديثا ، وتعرضت في هذا الفصل لثلاثة نقاط : الأولى عن المدعين في عصر النبوة ، والثانية نماذج من غلاة الشيعة ، الثالثة نماذج من المدعين في العصر الحديث .

الفصل الثاني : نقاش ورد ، وناقشت فيه دعوى إمكان النبوة بعد رسول الله ـ ﷺ ـ وبينت أن المـدعـين كانوا دليلا على هدم دعواهم ، وأنه قد مرت

القرون تلو القرون دون أن يأتي للعالم سول بعد محمد - ﷺ -. أما المدعون فقد كان دعواتهم مهلهلة تثير الضحك والسخرية ، وكان عمرها في عمر الزهور ، وكثيراً ما تراجع بعضهم وسخر من نفسه مع الساخرين ، والسبب في ذلك كما يقول د . أحمد شلبي هو: « أن النبوة عبء ثقيل ، حمله يرهق النفس البشرية ، والنهوض به من أشق الصعوبات ، وهي امتحان قاس، هيهات أن يعبره كاذب أو مختلق »[1] .

وسوف يظهر من هذ البحث المتواضع أن النبوة ليست دعوى تدعى، إنما هي اختيار من لدن حكيم خبير، فالله أعلم حيث يجعل رسالته ، وأسأل الله أن يكون عملي هذا خالصا لوجهه الكريم ، وأن يعفو عما فيه من زلات . .

الفصل الأول
نماذج من مدعي النبوة قديما وحديثا

بدأت حركات ادعاء النبوة في حياة الرسول - ﷺ - فوقف النبى - ﷺ - منها موقفاً حاسماً ، ثم انتعشت بحركة الردة ، ثم أخمدت في حروبها ، ولكنها أطلت برأسها مرة أخرى ، منذ عهد الفتنة في طور أشد انحرافا ، وأخذت تقوى في ظل التشيع ، وتتغذى بغلاته مقترنة في الأعم الأغلب بادعاء الألوهية .[2]

وفي العصر الحديث وجدنا فكرة ادعاء النبوة تعود مرة أخرى ، نرى ذلك عند مؤسسى البابية والبهائية والقاديانية ، ومن ثم فإنني سأقسم هذا الفصل الى ثلاث فترات ونتدرج من فترة لأخرى حسب الترتيب التاريخي :

---

(١) الإسلام ص ٥٦ - ٥٧ مكتبة النهضة المصرية، الطبعة السابعة .

(٢) د . يحيى هاشم : عوامل وأهداف نشأة علم الكلام ، ص ٢٠٥ ، مجمع البحوث الاسلامية سنة ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م .

الأولى : عن مدعي النبوة في حياته - ﷺ - ، **والثانية** : عن مدعيها من غلاة الشيعة ، **والثالثة** : عن المدعين في العصر الحديث .

أما عن المدعين في عهده - ﷺ - فيمكن استقصاؤهم ، وفيما يتعلق بمدعى النبوة في المرحلتين الثانية والثالثة فإنني سأكتفي بذكر بعض النماذج التى من خلالها تتضح الفكرة ويتحقق الغرض .

الفترة الأولى : مدعو النبوة في العصر النبوى الشريف :

الذين ادعوا النبوة في حياته - ﷺ - هم : الأسود بن كعب بن عوف العنسى ، ومسيلمة بن حبيب ، وطليحة بن خويلد الأسدى ، وامرأة تسمى سجاح تزوجها مسيلمة .

١ - الأسود العنسى : ادعى النبوة مع اقراره بنبوة محمد - ﷺ - وكان الأسود باليمن ، وأطلق على نفسه : رحمن اليمن ، وأبدى بعض الشعوذات ، منها : دعواه أن ملكين ينزلان عليه يسمى أحدهما « سحيق » والآخر « شهيق » فيأتيانه بالوحي . وتبع الأسود خلق كثير ، وسار إلى نجران فغلب عليها ، ثم سار إلى صنعاء وأخرج عاملها خالد بن سعيد بن العاص ، فاهتم الرسول - ﷺ - بأمره ، وأرسل إليه من يقتله ، ولما قتل كان النبى - ﷺ في مرض موته ، وأخبر بذلك من الله تعالى ، فأخبر ابن عباس - رضى الله عنه - ثم وصل خبر مقتله مع رسل اليمن بعد استخلاف أبي بكر - رضى الله عنه - بعشر ليال ، ويذكر ابن هشام عن ابن اسحاق قوله : « وقد كان تكلم في عهد رسول الله - ﷺ - الكذابان مسيلمة بن حبيب باليمامة في بنى حنيفة ، والأسود بن كعب العنسى بصنعاء» .(٣)

٢ - وأما مسيلمة بن حبيب : فقد أطلق النبى - ﷺ - عليه كذاب اليمامة ، وذلك بعد ادعائه النبوة كذبا ، ومسيلمة تطلع إلى النبوة منذ جاء إلى اليمامة وفد الرسول - ﷺ - يدعوهم إلى الاسلام ، فذهب مسيلمة إلى الرسول - ﷺ - يعرض عليه متابعته على أن يكون له الأمر من بعده ، ولما رجع خائبا بعث

(٣) ابن هشام : السيرة النبوية، جـ ٤ ، ص ١٣٨ ، المكتبة التوفيقية .

إلى النبي ﷺ ـ يطلب منه أن تكون له نصف الأرض ، ولقريش نصفها ، فكان رد الرسول ـ ﷺ ـ إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده .

وقد أورد ابن هشام كتاب مسيلمة الى رسول الله ﷺ ـ وجواب الرسول ـ ﷺ ـ عنه فقال : « وقد كان مسيلمة بن حبيب قد كتب إلى رسول الله : من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله : سلام عليك أما بعد : فاني قد أشركت في الأمر معك ، وإنا لنا نصف الأرض، ولقريش نصف الأرض ، ولكن قريشا قوم يعتدون »[٤] .

ذهب بهذا الكتاب الى النبى ـ ﷺ ـ رسولان من قبل مسيلمة ، ولما قرأ الرسول كتاب مسيلمة سألهما عن رأيهما فيما كتبه قالا : نقول كما قال ، فقال : أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما ، ثم كتب إلى مسيلمة :

بسم الله الرحمن الرحيم « من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب : السلام على من اتبع الهدى أما بعد : فان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين»[٥] .

وهذا الرد النبوى الشريف يقرر أمرين : الأول : كذب مسيلمة ومن يومها ظل يدعى « مسيلمة الكذاب » الثانى : أن الأرض لله تعالى ، وهو وحده الذى يملك توريثها ويختار لذلك أصفياءه .

ومع ذلك فقد تمادى مسيلمة في غيه ، وصار يسجع الأساجيع مضاهاة لكتاب الله مثل قوله : « لقد أنعم الله على الحبلى، أخرج منها نسمة تسعى ، من بين صفاق وحشى » ، كما أحل لهم الخمر والزنى ، ووضع عنهم الصلاة ، وهو مع ذلك يشهد لرسول الله بأنه نبى .[٦] وقد كان مسيلمة على علم بالحيل وأعمال المنجمين يتلقاها في أسواق العرب ، وسار المسلمون لحربه بقيادة خالد بن الوليد ، وقتل مسيلمة سنة ١٢ هـ ، وملأت جثث رجاله وجيشه أرض القتال ، وطويت تحت التراب إلى الأبد راية هذا الدعي الكذاب .[٧]

(٤) المرجع السابق ، ص ١٣٩ .
(٥) المرجع السابق ، ص ١٣٩ :
(٦) المرجع السابق ، ص ١٢٣ ـ ١٢٤ .
(٧) د . يحيى هاشم : عوامل وأهداف علم الكلام ، ص ٢٦٠ ، خالد محمد خالد : رجال حول الرسول ، ص ٣٦٩، نشر دار الكتب الإسلامية ، سنة ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م .

ويذكر ابن هشام عن ابن اسحاق أن النبى - ﷺ - رأي رؤيا وأولها بهذين الكذابين أعني الأسود ومسيلمة ، عن أبى سعيد الخدرى قال : سمعت رسول الله - ﷺ - وهو يخطب الناس على منبره وهو يقول : أيها الناس : اني قد رأيت ليلة القدر ، ثم أنسيتها ، ورأيت في ذراعي سوارين من ذهب فكرهتهما فنفختهما فطارا ، فأولتهما هذين الكذابين : صاحب اليمن ، وصاحب اليمامة .(٨)

٣ - أما سجاح - والتى تزوجت مسيلمة - فقد تنبأت وانضمت اليه ، ويبدو أنها ظنت أن الوحي إذا نزل على الرجل فلابد ن يكون لزوجته نصيب ، وأن المتنبيء لابد وأن يتزوج متنبئة ، وقد قتلت سجاح وقيل أسلمت بعد مقتل الكذاب .

وعن الثلاثة الذين سبق ذكرهم يقول صاحب « الفرق بين الفرق » : « اشتغلوا - يقصد الصحابة - بقتال مسيلمة الكذاب إلى أن كفى الله تعالى أمره ، وأمر سجاح المتنبئة ، وأمر الأسود العنسى » .(٩)

٤ - وممن ادعى النبوة في حياته - ﷺ - طليحة بن خويلد الأسدى، وكان صحابيا فارتد وتنبأ ، وفي حروب الردة قاتلة المسلمون حتى انهزم ، وهرب الى الشام ثم رجع في أيام عمر إلى اسلامه ، وأسف على ما بدر منه ، وشهد مع سعد بن أبى وقاص « القادسية » وشهد بعد ذلك حرب نهاوند ، واستشهد فيها .(١٠)

الفترة الثانية : نماذج من مدعي النبوة عند غلاة الشيعة :

بدأ التشيع حسنا ثم معتدلا ثم صار التشيع المعتدل خطوات حتى تفرع عنه الغلو وبدأ الغلو بالسبئيين نسبة إلى « عبد الله بن سبأ » وبدأت تنشأ أفكار غريبة عن الإسلام خاصة دعاوى الألوهية ، وادعاء النبوة . ويهمنا هنا أن نشير إلى نماذج من مدعي النبوة داخل حظيرة غلاة الشيعة .

١ - **المختار بن عبيد الله الثقفي** : إليه تنسب المختارية (أصحاب المختار) والمصادر التى تنسب الى المختار ادعاءه للنبوة كثيرة ونذكر من ذلك طرفا : يقول

(٨) ابن هشام : السيرة النبوية، جـ ٤ ، ص ١٣٨ .
(٩) الامام عبدالقاهر البغدادي ، ص ١٣ ، ١٤ ، نشر مكتبة انس بن مالك، ١٤٠٠ هـ .
(١٠) المرجع السابق ، ص ١٣ .

البغدادى عنه : « خدعته السبئيه الغلاة من الرافضه فقالوا له : أنت حجة هذا الزمان ، وحملوه على دعوى النبوة ، فادعاها عند خواصة ، وزعم أن الوحى ينزل عليه »، وينسب البغدادى إليه كثيرا من السجع الذى يدعى المختار أنه من وحي السماء .[١١]

ويذكر ابن حزم أن عددا ليس بقليل من الشيعة اتبعه . يقول : « وقد حام المختار حول أن يدعي النبوة لنفسه ، وسجع أسجاعا ، وأخبر بالغيوب ، واتبعه على ذلك طوائف من الشيعة» .[١٢]

وإذا كان المختار على حد قول ابن حزم قد حام حول النبوة ، فإن ابن كثير يقطع بادعاء الرجل لها حيث يذكر رواية عن الإمام أحمد بسنده عن رفاعة القبابي قال : دخلت على المختار فألقى الى وسادة وقال : لولا أن أخي جبريل قام عن هذه لألقيتها لك»[١٣] .

٢ - **حمزة بن عمارة البربرى** : كان من أهل المدينة ، ومن فرقة « الكيسانية » وعلى الأخص فرقة « الكربية » وهم أصحاب ابن كرب ، تكونت عقب وفاة محمد بن الحنفية عام ٨١ هـ ثم فارق الكربية وذهب إلى الكوفة حيث أقام بها وهناك بدأ غلوه . يقول عنه النوبختي : « ادعى أنه نبى وأن محمد بن الحنفية هو الله » .[١٤]

٣ - **بيان بن سمعان التميمي** : اليه تنسب البيانية وهي احدى فرق الكيسانية ادعى أنه نبى واستدل على ذلك بتأويله لقوله تعالى : « هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين»[١٥] وقال : « أنا البيان وأنا الهدى وأنا الموعظة »[١٦]ويذكر الشهرستانى أن بيان هذا لم يكتف بمجرد ادعاء النبوة ، بل صار يدعو الأئمة إلى الإيمان به ، فقد كتب إلى محمد بن علي بن الحسين الباقر

---

(١١) المرجع السابق، ص ٣٤ .
(١٢) الفصل في الملل والاهواء والنحل، جـ ٤، ص ١٨٤، مكتبة الخانجي بمصر .
(١٣) البداية والنهاية ، جـ ٨، ص ٢٩١ . مطبعة السعادة بمصر .
(١٤) فرق الشيعة ، ص ٣٥ ، مطبعة الدولة ، استانبول، سنة ١٩٣١ م .
(١٥) آل عمران : ١٣٩ .
(١٦) البغداداي : الفرق بين الفرق ، ص ٢٢٧ ، مكتبة أنس بن مالك ، ١٤٠٠ هـ .

ودعاه قائلا : « أسلم تسلم وترتقي من سلم ، فانك لا ترى حيث يجعل الله النبوة » فأمر الباقر أن يأكل الرسول قرطاسه الذي جاء به فأكله فمات في الحال .

وقد اجتمعت طائفة على بيان ودانوا بمذهبة فقتله خالد بن عبد الله القسرى على ذلك[17] .

٤ ـ **المغيرة بن سعيد البجلى** : بدأ المغيرة حياته اماميا ، لكنه لم يكن صادقا في تشيعه ، فما لبث أن أظهر ما في قلبه من حقد ، فانحرف الى الغلو ، وبدأ غلوه بانتقاص الصحابه ، واليه تنسب « المغيرية » من غلاة الشيعة ، وكان زميلا لبيان بن سمعان ، وقد تأثر بصاحبه بصفة عامة وفي مسألة ادعاء النبوة بصفة خاصة ، حيث أظهر لأتباعة بعد رياسته عليهم أنواعا من الكفر الصريح منها دعواه النبوة ، ودعواه علمه بالاسم الأعظم وزعم أنه يحي به الموتى ، ويهزم به الجيوش»[18] .

ويقول عنه القاضى النعمان : « انه كان من أصحاب محمد الباقر ، استذله الشيطان فكفر وادعى النبوة ، وزعم انه يحي الموتى ، وزعم ان محمدا الباقر إله بعثه رسولا »[19] .

وقد خرج المغيرة على خالد بن عبد الله فقتله وصلبه بواسط عام ١١٩ هـ وذلك بعد أن استتابه فأبى .[20]

٥ ـ **أبـو منصـور العجـلي** : وهو عربي الأصل من قبيلة عجلة ، وفرقة المنصورية تنسب إليه ، مقربا من محمد الباقر ، ولما طرده الباقر وتبرأ منه ادعى أن الامامة انتقلت اليه من الباقر بعد وفاته ، وادعى أنه رفع إلى السماء وأن الله مسح على رأسه ، وقال له : يابني انزل ثم اهبط إلى الأرض ، فهو الكسف الساقط من السماء .[21]

ثم زعم أنه نبى ورسول ، وأن الله قد اتخذه خليلا ، وزعم أن محمدا بعث

(١٧) الملل والنحل ، مطبوع على هامش الفصل لابن حزم ، ص ٢٠٥ ، مطبعة الخانجي بمصر.
(١٨) الفرق بين الفرق ، ص ٢٢٩ .
(١٩) دعائم الاسلام، جـ ١ ص ٤٩ ، دار المعارف سنة ١٩٨١ م .
(٢٠) المعارف لابن قتيبة ، ص ٢٦٧ ، دار المعارف، سنة ١٩٨١ .
(٢١) الاسفراييني : التبصير في الدين ، وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، مطبعة الأنوار ، ١٣٥٩ هـ ـ ١٩٤٠ م .

بالتنزيل وأما هو فقد بعثه الله بالتأويل ، واعتقد ان الرسل لا تنقطع أبدا والرسالة لا انتهاء لها .[22] وقد امتد الأمر بأتباعه على يد ابنه الحسين الذى قتله الخليفة المهدى ، وظفر بجماعة من أصحابه فقتلهم وصلبهم .[23]

٦ ـ **عبدالله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر** : تنسب اليه فرقة الجناحية وهم من غلاة الشيعة ، يقول عنه الشهرستانى : « انه ادعى الإلهية والنبوة معا فعبده قومه » .[24] وقد ظهر عبد الله هذا في ناحية فارس وأصبهان فقاتله أبو مسلم صاحب دولة بنى العباس ، فقد بعث له عسكرا فصلبوه وقتلوه بعد حبسه ، والغريب ان أتباعه يدعون انه لم يمت ، وأنه في جبل أصفهان إلى أن يخرج .[25]

٧ ـ **محمد بن أبي زينب المعروف بأبي الخطاب الأسدى** : تنسب إليه فرقة الخطابية من غلاة الشيعة ، وكان أبو الخطاب من تلاميذ جعفر الصادق ومن أجل دعاته ، لكنه كفر وادعى النبوة وزعم أن جعفر الصادق اله ، فلقيه جعفر وتبرأ منه .[26]

ويقول النوبختى : « ادعى الإمامة لنفسه ثم تراقي إلى أن ادعي النبوة والرسالة ، ثم ادعى انه من الملائكة ، وأنه رسول الله إلى أهل الأرض ، والحجة عليهم .[27]

وفي أيام المنصور خرج أبو الخطاب على والى الكوفة فبعث عسكرا إليه

---

(٢٢) طه عبدالرءوف سعد : المرشد الأمين إلى اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، مطبوع على هامش اعتقادات للرازي ، ص ٨٨ ، ٨٩ مكتبة الكليات الأزهرية سنة ١٣٩٣ هـ ١٩٧٠ وانظر الشهرستانى في الملل والنحل ، ومطبوع على هامش الفصل لابن حزم، جـ ٢ ص ١٥ .

(٢٣) راجع المرشد الأمين إلى اعتقادات فرق المسلمين والمشركين مطبوع على هامش ا عتقادات للرازى ، ص ٨٨، ٨٩ وأيضا الشهرستانى في الملل والنحل على هامش الفصل جـ ٢ ، ص ١٥ .

(٢٤) الملل والنحل، جـ ١ ص ١٣٥ .

(٢٥) التبصير، ص ٧٣ .

(٢٦) القاضي النعمان : دعائم الاسلام جـ ١ ص ٤٩ـ ٥٠، دار المعارف، ١٩٨١ م .

(٢٧) فرق الشيعة ، ص ٣٨، مطبعة الدولة استانبول، ١٩٣١ م .

فأسروه ، وأمر بصلبه في كناسة الكوفة ، كان ذلك سنة ١٣٨ هـ [٢٨] .

٨ - **ومن غلاة الشيعة**: الذين انتشرت بينهم فكرة ادعاء النبوة الاسماعيلية، وقد تفرقت هذه الفرقة إلى فرقتين : الاسماعيلية الخالصة ، والاسماعيلية المباركية ، وانفصلت عن المباركية فرقة القرامطة نسبة إلى حمدان قرمط ، واشتهر هذا الرجل في الدعوة إلى الباطنية على حد قول البغدادي .[٢٩]

وقد خرجت القرامطة على المباركية بسبب الخلاف حول محمد بن إسماعيل ، فالمباركية يعتقدون امامته ، أما القرامطة فقد خرجوا عليهم واعتقدوا نبوته . ونبوة محمد بن إسماعيل عندهم ترجع إلى نبوة جده على بن ابى طالب كما يعتقدون ، ويعتقدون أن محمد بن اسماعيل من أولي العزم من الرسل وهم عندهم سبعة : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وعلي ومحمد بن إسماعيل . وهو عندهم خاتم الرسل ويعتقدون أنه لا نبى بعده ، وأنه المقصود بآية : « وخاتم النبين » .[٣٠]

أما نبوة علي بن فضل فان الحمادي يذكر انه أظهر كفره وادعى النبوة[٣١] ويقرر ذلك أيضا الدكتور النشار في كتابه الجيد (نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام).

أما نبوة ابي سعيد الخطابي ، فينقل دى خون عن الجويرى أن أبا سعيد كان متبحرا في علم الغيب وأنه قد ادعى النبوة .[٣٢]

ونكتفي بهذا القدر ، وأعتقد أنه كاف في بيان زعم النبوة وادعاء الرسالة داخل حظيرة غلاة الشيعة ، ويبقى في هذا الفصل أن نذكر نماذج من المدعين في العصر الحديث وأركز فيما يلى على مؤسسي ثلاثة مذاهب قديمة في فكرها وآرائها ، حديثة في وجودها وظهورها وهم : الباب ، البهاء ، القادياني .

(٢٨) الاسفراييني : التبصير، ص ٧٤ .

(٢٩) الفرق بين الفرق ، ص ٢٦١ .

(٣٠) راجع : النوبختي : فرق الشيعة ص ٦٢ - ٦٣ .

(٣١) كشف اسرار الباطنية ملحق بكتاب التبصير للاسفراييني ص ٢٠٨ مكتبة الخانجي بمصر، ط ٢ سنة ١٩٥٥ م .

(٣٢) القرامطة نشأتهم ودولتهم وعلاقاتهم بالفاطميين ص ٦٧ ترجمة وتحقيق حسنى زينة ، دار ابن خلدون ط ٢ سنة ١٩٨٠ .

الفترة الثالثة : نماذج من مدعي النبوة في العصر الحديث :

١ ـ الباب : هو ميرزا علي محمد الشيرازى نسبة الى مدينة شيراز التي ولد بها في المحرم سنة ١٢٣٥ هـ الموافق سنة ١٨١٩ م ، وقد لقب بالباب ، ونسب المذهب الى لقبه فتسمى باسم « البابية » .

تدرج الباب من ادعاء البابية إلى ادعاء المهدية ، ولم يقنع بهذا ، فادعى النبوة والرسالة بل زعم أن الله أنزل عليه كتابا كما أنزل على محمد ـ ﷺ ـ قرآنا ، وقد أطلق على كتابه هذا « البيان » وادعى أن هذا الكتاب هو المشار اليه في قوله تعالى : « الرحمن ، علم القرآن ، خلق الإنسان ، علمه البيان» .(٣٣)

ولم يكتف بمجرد الادعاء بل صار يدعو العلماء الأعلام لاتباعه واعتقاد نبوته ، فقد أرسل كتابا الى الشيخ العلامة « محمد الألوسي» مفتي بغداد ، وصاحب التفسير المعروف بروح المعاني ، يدعوه فيه إلى اتباعه والإيمان بنبوته ، ومما قاله في هذه الرسالة : « وانني عبد الله قد بعثنى الله بالهدى من عنده ، أفلا تحب أن تكون من المتقين» .(٣٤) بل زاد في افكه وادعى أن كتابه البيان لا يقل شأنا عن القرآن حيث يقول : « وقد بعثنى الله بمثل ما قد بعث به محمدا رسول الله من قبل ، وأنزل عليه آياته ، أفغير الله يقدر أن ينزل من آيته ، أفلا تبصرون »(٣٥) .

بل انه تحدى بكتابه البيان الانس والجن يقول (لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا الكتاب بالحق لن يستطيعوا ، ولو كان أهل الأرض ومثلهم معهم على الحق ظهيرا ، فوربك الحق لن يقدروا بمثل بعض حروفه ولا عن تأويله من بعض السرقطميرا) .(٣٦)

وهكذا يدعي هذا الكاذب أن الكل عاجز عن الاتيان بمثل كتابه بل الكل

---

(٣٣) الرحمن : ١ ـ ٤ .

(٣٤) راجع : ميرزا مهدي خان : مفتاح باب الأبواب أو تاريخ البابية ، ص ٣٠٣ ـ ٣٠٤ مطبعة مجلة المنار الاسلامية . مصر سنة ١٣٢١ هـ .

(٣٥) راجع : د . مصطفى عمران : تهافت البابية والبهائية ، ص ٦٣ ، دار الطباعة المحمدية ، سنة ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م .

(٣٦) المرجع السابق ، ص ٦٣ .

عاجز عن تأويله ومعرفة أسراره ، ولم يكتف بهذا بل ادعى ان كتابه البيان افضل من القرآن وبالتالى فهو أفضل من محمد ، يقول كذبا وزورا : « انني أفضل من محمد ، كما أن قرآني أفضل من قرآن محمد »(٣٧) .

بل إنه قد ادعى في رسالته التى بعث بها الى الشيخ الألوسي أن كتابه ناسخ لما قبله « ولا تتبعن الا ما أنزل في البيان فإن ذلك ما ينفعكم ، وأني ما فرطت من نصحي في الكتاب من شيء » .(٣٨)

٢ ـ البهاء : هو الميرزا حسين علي الملقب بالبهاء ، ولد ببلدة نور من ضواحي ولاية « مازندران » بإيران وذلك يوم الثلاثاء من المحرم سنة ١٢٣٣ هـ ، مؤسس مذهب البهائية وهذا المذهب امتداد للبابية ، فقد التقى حسين على الملقب بالبهاء بالميرزا على محمد الملقب بالباب خاصة أن الوطن واحد والمولد متقارب .

ركز البهاء في بدء دعوته على أنه ليس أكثر من نائب عن الباب ، وبعدما ثبتت أقدامه والتف حوله الكثير ادعى أنه بهاء الله وهي درجة أرقى من الباب ثم زاد من خيلائه فادعى انه نبى مبعوث ، ورسول يوحى اليه ، ولا عجب فالباب قدوته ، وهو يترسم خطى أستاذه ، يقول الشيخ محمد الخضر حسين : « وميرزا علي الملقب بالباب يدعي انه رسول الله ، وكذلك يدعي زعيمهم المسمى (بهاء الدين) ففي كتاب « بهاء الله والعصر الجديد » وقرر بهاء الله أن رسالته لتأسيس السلام على الأرض ، وقال صاحب هذا الكتاب يتحدث عن الباب والبهاء من المستحيل ايجاد أى تغيير لعظمهما إلا بالاعتراف بأنهما انما عملا بوحي من الله .(٣٩)

ويقول البهاء في احدى رسائله : « قد بعثنى الله وأرسلنى اليكم بآيات بينات ، وأصدق ما بين أيديكم من كتب الله وصحائفه ، وما نزل به البيان ، وقد شهد لنفسي ربكم العزيز المنان»(٤٠) وادعى أن الله أنزل عليه كتابا وأسماه

(٣٧) مفتاح باب الأبواب ص ١٢٠ .
(٣٨) المرجع السابق، ص ٣٠٣ ـ ٣٠٤ .
(٣٩) البابية أو البهائية، ص ٢٣ ، مطبعة الأزهر .
(٤٠) مفتاح باب الأبواب، ص ٣٧٧ .

« الأقدس » وبهذا الكتاب شريعة ناسخة للشرائع السابقة بما فيها الإسلام وكذا شريعة أستاذه الباب .

يقول الشيخ محمد الخضر حسين : « إن الباب والبهاء قد زعما أنهما أوتيا شريعة ناسخة للشريعة الإسلامية ، وأتباعهم ابتدعوا أحكاما خالفوا بها أحكام الإسلام وقواعده . [٤١]

٣ ـ القاديانـي : هو ميرزا غلام أحمد القادياني ، ولد بالهند سنة ١٢٥٢ هـ ، وأسس مذهب القاديانية ، قدم نفسه مصلحاً ومجدداً ثم ما لبث أن نكص على عقبيه كسلفه فادعي المهدية ثم ادعي أنه المسيح المنتظر، ثم كان ادعاءه النبوة والرسالة واتيانه بشريعة ناسخة هو خاتمة ما وصل إليه . ولنقف عند النقطة الأخيرة فهي التى تتعلق ببحثنا .

يصور الأستاذ أبو الحسن الندوى طريقة إعلان نبوة هذا الرجل المزعومة فيذكر أن القادياني كان جناحاه رجلين أحدهما يسمى الحكيم نور الدين ، والثاني الشيخ عبدالكريم، كان عبدالكريم هذا خطيب الجمعة وإمام الصلوات ، وكاتب السر ، وكان شديد الحب لميرزا ، وفي يوم جمعة ومن فوق المنبر ادعى عبدالكريم أن الميرزا غلام أحمد مرسل من الله ، والإيمان به واجب ، وحدث بعد الجمعة صخب شديد ، فعاد عبدالكريم في الجمعة التى بعدها والتفت إلي الميرزا وهو على المنبر وقال له : أنا اعتقد انك نبى ورسول ، فان كنت مخطئا نبهني على ذلك ، وبعد الصلاة هم الميرزا بالانصراف فأمسك عبدالكريم بذيله وطلب منه الحكم ، فأقبل اليه الميرزا قائلا : هذا الذي أدين به وأدعيه ، وأقلق ذلك الشيخ «محمد أحسن » وجعل يناقش عبدالكريم، وارتفع صوتهما فخرج الميرزا وهو يقرأ : « لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي »[٤٢] .

كان ذلك سنة ١٩٠٠ م ومن هذا التاريخ ، واتجهت مؤلفاته هذا الاتجاه ، ومن كتبه كتاب يسمى : « حقيقة الوحي » يقول فيه : « خصني الله باسم النبى ، أما الآخرون فلا يستحقون هذا الاسم » .[٤٣] ويقول : « انني صادق كموسى

(٤١) البابية أو البهائية ص ٢٣ .
(٤٢) القادياني والقاديانية ، ص ٦٣ ـ ٦٤ والآية من سورة الحجرات : ٢ .
(٤٣) حقيقة الوحي ، ص ٣٩١ .

وعيسى وداود ومحمد ، وقد أنزل الله لتصديقى آيات سماوية تربو على عشرة آلاف ، وقد شهد لى القرآن ، وشهد لي الرسول ، وقد عيّن الأنبياء زمان بعثتي وذلك هو عصرنا هذا » .[٤٤]

وما دام القادياني قد زعم النبوة ، فلا عجب أن يجعل « قاديان » مسقط رأسه كالمدينة المنورة ومكة المكرمة ، وأرضها أرض الحرم ، وفيها شعائر الله ، وأن الحج هو المؤتمر السنوى في قاديان ، وأنه ممنوع فيه الرفق والفسوق والجدال .[٤٥]

ونكتفي بهذا القدر من نماذج المدعين منذ عصر النبوة وحتى يومنا هذا ، وقد تعمدت أن أسرد كبار المدعين وأصحاب المذاهب والنحل الباطلة ، لأن القصد اظهار الفكرة وتوضيحها وليس الاستقصاء الكامل لكل من ادعى النبوة أو زعمها ، وأعتقد أن القدر الذى ذكرته كاف بالغرض وأنتقل إلى الفصل الثاني من البحث وهو الأسباب والمؤثرات .

الفصل الثاني
الأسباب والمؤثرات

نتلمس في هذا الفصل الأسباب التي حدث بهؤلاء المدعين إلى ادعائهم ، والمؤثرات التي دفعتهم إلى هذا الادعاء .

أولا : العصبية القبلية :

لقد كانت قريش تنظر إلى النبوة من زاوية العصبية القبلية ، وبهذا يخبرنا القرآنا لكريم في قوله تعالى : « وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » .[٤٦] وفي حياة النبى - ﷺ - كانت العصبية القبلية من أول وأكبر الدوافع إلى ادعاء النبوة ، يبدو هذا من كتاب مسيلمة إلى رسول الله - ﷺ -

---

(٤٤) القاديانى والقاديانية ، ص ٦٧ - ٦٨ .
(٤٥) احسان إلهي ظهير : القاديانية ، ص ١٦٧ - ١٦٨ .
(٤٦) الزخرف : ٣١ .

الذي قال فيه : « فاني اشركت في الأمر معك ، وان لنا نصف الأرض ولقريش نصفها ، ولكن قريشا قوم يعتدون »[٤٧] .

ويقول الدكتور محمد جمال الدين سرور : « كان للعصبية القبلية أثر واضح في حركة المرتدين »[٤٨] ، وهذا الكلام يجعلنا نحكم من أول وهلة بأن دعوى النبوة في حركة الردة كانت بتأثير داخلي وقومي ، وليس هناك تأثير خارجي .

ولاشك أن هذا السبب ـ أعني العصبية ـ ينجلى بصورة واضحة في المدعين للنبوة في حياة النبى ـ ﷺ ـ وخاصة أنهم قريبو عهد بالجاهلية ، ولا أحد يمكنه أن يغمض عينيه عن العصبية الجاهلية ، وما لاقاه النبى ـ ﷺ ـ من أذى بسببها .

وإذا كان هذا السبب قد حدا بالمدعين إلى ادعاءاتهم ، فهذا لا يعنى انه لا توجد أسباب أخرى ، لكنها هذه المرة تأتي من خارج المجتمع الإسلامي ومن هذه الأسباب :

ثانياً: الأثر الفارسي :

يذكر الجاحظ في كتابه «الحيوان » أن فارس بثقافتها وعدواتها للإسلام منذ أن مزق كسرى كتاب النبى ـ ﷺ ـ تعتبر من الروافد التي استمد المتنبئون منها ثقافتهم خاصة أن الحيل والشعبذات كانت منتشرة عند الفرس ، وصلة الجزيرة العربية بمن حولها آنذاك ثابتة خاصة شمال الجزيرة المتصل بالشام ، وجنوبها المتصل بالحبشة ، ولأن مسيلمة نفسه طاف بالأسواق التى كان العجم والعراق يلتقون بها .[٤٩] ويظهر هذا الأثر الفارسي جليا في المتنبئين من غلاة الشيعة ، خاصة أن الشيعة قد دخلها كثير من موالى الفرس يبغون هدم الإسلام ، ووجدوا في مبادىء التشيع ما يساعدهم على ذلك ، وإذا كان المختار بن أبي عبيد هو أول من ادعي النبوة في وسط الغلاة ، فإن موالي الفرس قد التفوا حوله ، واعتنقوا أفكاره ، والموالي اختلطوا بالسبئية وشكلوا معا أتباع المختار ، فهم أساس فكرة ادعاء النبوة عند المختار .

---

(٤٧) ابن هشام : السيرة النبوية جـ ٤ ص ١٣٩ .

(٤٨) الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية خلال القرنين الأول والثانى بعد الهجرة، ص ١٩ ، دار الفكر العربي ، سنة ١٩٧٣ م .

(٤٩) نقلا عن د . فتحي الزغبى : غلاة الشيعة، ص ٦٣١، مطبعة غباشي بطنطا ، ١٤٠٩ ـ ١٩٨٥ م.

وأبو مرة - زعيم الموالى ، وفارسي في الصميم - هو الذى أشاع نبوة المختار ، وزعم أن الوحي يأتيه وأن الملائكة تنزل عليه .[٥٠]

يقـول د . يحيى هاشم : « كان غلاة الشيعـة على صلة وثقى بالمجوسية ويكفي أن نشــير هنــا إلى الخـداشية، والجنـاحية ، والـرزامية ، والمقنعية ، والمنصورية ، والخطابية ، والمغيرية ، والباطنية ، في هؤلاء جميعا وفي غيرهم يجد المؤرخون علامات من العقائد المجوسية ، ويجدون في بعضها وشيجة من التعاون أو الاتصال ، ولقد ظهر التأثير بصفة خاصة في عقائد الرجعة ، والتناسخ والتنبؤ بالمستقبل ، وادعاء النبوة ، وادعاء الألوهية »[٥١]

ويؤكد على هذه الفكرة د . محسن عبدالحميد في قوله : « الحقيقة التى ثبتت تاريخيا أن المجوس الذين أكل قلوبهم الحقد على الإسلام ونبيه ، كانوا يخبرون دائما أن نبيا يظهر من العجم - أي الفرس - وكانوا يبتغون من ذلك أن يعوضوا الهزيمة التى لحقتهم بعد أن غمر نور الإسلام ظلامهم .[٥٢] ولا يمكن أن نغفل أهم أسباب هذا الادعاء ، وهو عداء الصلبية والصهيونية المستحكم للاسلام .

ثالثاً : اتفاق الصلبية والصهيونية على هدم الاسلام :

عداء الصلبية والصهيونية للإسلام مستحكم ، وهذا العداء للإسلام ونبيه هو الذي يجمع بينهما ، لذا فهما يعملان بكل قوة لضرب الإسلام ، بل ولهدم عقيدته ، وتوهينها في نفوس المسلمين ، ومن الأمور التى استخدموها لهدم عقيدة الإسلام قضية ختم النبوة ، فقد عملوا جاهدين للتشكيك فيها ، وما خرج أكثر المدعين للنبوة الا من عباءة هؤلاء ولنذكر بعض الشواهد الدالة على ذلك :

١ - ولـد الباب في ايران ، وسافر إلى العراق ، و التقى هناك برجلين : السيد كاظم الرشتى والسيد حسين البشروئي ، وهما من دم يهودى أو يعملان لحسـاب الفكـر اليهودى ، فأوهماه أنه سيكون له شأن ، وأدخلا في روعه أنه سيكون منقذ الإنسانية من الضلال ، وقائد ركب المدعين .[٥٣]

٢ - جاء في بيان جبهة علماء الأزهر الشريف مايلى : « ولقد تزلف البهائيون

---

(٥٠) المرجع السابق ، ص ٦٣١ .

(٥١) عوامل وأهداف نشأة علم الكلام، ص ١٩٢ - ١٩٣ .

(٥٢) حقيقة البابية والبهائية، ص ١٠٩ . المكتب الإسلامي، بيروت - دمشق ط ٢ ١٩٧٥ م .

(٥٣) محمد زكي الدين : الاسلام والمؤامرات اليهودية، ص ١٧١ دار الصفوة للطباعة والنشر، ١٤١٠ - ١٩٩٠ م الطبعة الأولى.

إلى اليهود ، وما لئوهم على العرب والمسلمين ، وبشروهم بأن فلسطين ستكون وطنا قوميا لهم ، وقال طاغيتهم عبد البهاء واسمه (عباس) انه يريد أن يوحد بين المسلمين والنصارى واليهود ويجمعهم على نواميس موسى - عليه السلام - الذى يؤمنون به جميعا»[٥٤] ومعنى ذلك أن عبدالبهاء هذا يريد تهويد المسلمين والنصارى ، وأن يجعل اليهودية هي الدين السائد في الأرض ، وبذلك يكون السلطان في العالم كله لليهود وحدهم . ويعتبر البهائيون يوم تأسيس اسرائيل دليلا على مزاعم طاغوتهم الميرزا (حسين) .[٥٥]

٣ - وتبدو الصلة الوثيقة بين البهاء والانجليز عندما نفته الحكومة الإيرانية وشيعته إلى بغداد ، حينئذ اتصل به القنصل البريطاني العام « كولونيل أرنولد بروكيل » وطلب منه أن يتجنس بالجنسية البريطانية ليحافظ على حياته ، وان كان لا يريد الاقـامة في انجلترا فبامكانه أن يسافر إلى الهند التى هي مملكة شرقية وتوافق مذاقه .[٥٦]

٤ - أما (عباس) ابن البهاء وخليفته والملقب (عبد البهاء) فيقول : « اني عرفت الأمة الانجليزية ، والذين قابلتهم هم أنفس طيبة يشتغلون للسلام والاتحاد .[٥٧]

٥ - والقـادياني الذي ادعي النبوة هو الذي أتى به الاستعمار ليحل محل حركة أحمد خان بهادور ، يقول الدكتور البهي : « ان تعاليم السيد أحمد خان وآراءه ذات طابع اصلاحي لكن الانجليز أحسوا أنهم بحاجة إلى تعديل ورأوا أن هذا التعديل يتمثل في تحويل هذه التعاليم إلي عقيدة لها سمة الإيمان حتى تصبح الفجوة بين المسلمين أعمق وأطول مدى ، لأن الأحمدية لم تثمر الثمار المطلوبة ، وقد قامت القاديانية ليتحقق على أيديها هذا التعديل » .[٥٨]

٦ - ويرى د . أحمد عوف أن القاديانية كانت وليدة الظروف الاستعمارية التى أنبتتها وتبنتها ، ولما ظهرت دقت لها الطبول ودعمتها ، ولم تدعها بل أخذت

---

(٥٤) نقلا عن الاستاذ: محسن عبدالحميد، حقيقة البابية والبهاية ص ١٩١ .
(٥٥) المرجع السابق ، ص ١٩١ .
(٥٦) المرجع السابق، ص ١٩٤ .
(٥٧) د . مصطفى عمران : تهافت البابية والبهائية، ص ١٢٨ .
(٥٨) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ، ص ٤٣، مطبعة وهبة ، الطبعة الثامنة .

تشد من أزرها وتقوى من كيانها ، وأظهرتها انجلترا لتخدم أغراضاً تبشيرية معينة لتدعيم الوجود الاستعماري في أواسط آسيا .[٥٩]

ويؤكد على ذلك الدكتور البهى بقوله: « قد تحقق علميا وتاريخياً أن القاديانية وليدة السياسة الإنجليزية .[٦٠]

ومما لاشك فيه أن افساد الإسلام والتراث الإسلامي غرض أول للصلبية والصهيونية على السواء ومن الصور التي استخدموها لتحقيق هذا الغرض ابراز الخلافات المذهبية بيننا ، وتأكيد الفجوات وتوسيع الثغرات بين طوائف المسلمين وشعوبهم ، مع شرح كثير من مباديء الإسلام شرحا يشوهها ، وينحرف بها عن أهدافها الأصيلة .

تعقيب :

لا يمكن أن يكون هدفنا من السبب الأخير هو إثبات أن الباب والبهاء والميرزا ومن سلك مسلكهم كانوا مجبورين على ادعاءاتهم أو أن الإنجليز واليهود كانوا يحركونهم دون إرادة منهم ، بل قد توفر في هؤلاء القابلية للفكر المنحرف ، كل ما هنالك أن أعداء الإسلام وجدوا في هؤلاء وأمثالهم بغيتهم وتحققت فيهم السمات التى تجعل صاحبها لا يبغي سوى الشهرة وحب الرياسة والمال ، فهؤلاء كانوا مؤهلين عن رغبة واختيار لتنفيذ هذا المخطط الاستعماري ، ولذا فينبغى علينا قبل أن نعيب على عدونا ما يدبره ضدنا أن نعيب على أنفسنا وشعوبنا قابليتنا لهذا الافساد ، واستعدادنا لتلقيه .

رابعاً : أثر البيئة والثقافة :

للبيئة ومحتواها الثقافى الأثر الكبير في التكوين الذهني ، ولما كان ادعاء النبوة لونا من الأباطيل فانني سآخذ نماذج من المدعين وأحاول أن أقدمهم للقاريء من منظور بيئتهم وثقافتهم ليرى إلى أى حد كان للثقافة والظروف التي أحاطت بهم الأثر الأكبر في اعتناق هذا الباطل والدعوة إليه .

١ ـ الباب[*]: توفي أبوه قبل فطامه، فتربى في حجر خاله الميرزا علي

---

(٥٩) القاديانية ، ص ١٨ ، دار النهضة العربية.

(٦٠) الفكر الإسلامي الحديث، ص ٤٥ .

الشيرازى ، وكان خاله تاجرا ، ولما شب عن الطوق عهد به إلى الشيخ عابد ، أحد تلاميذ كاظم الرشتي ، كي يعلمه ويرعاه ، واكتفى خاله بأن يتعلم الولد تعليما متوسطا ، ويتلقى ثقافته متواضعة ، وعرف اللغتين الفارسية والعربية ثم جذبه إلى التجارة .

لكن الشاب شرع يأخذ نفسه بالرياضات الشاقة ، وشغل نفسه بالأمور الروحانية ، وقد أفرط في هذا الجانب حتى أكد المؤرخون أنه أصيب باضطراب في الذهن وانحطاط في قواه الجسمية والعقلية ، ويذكر د . ميرزا محمد مهدى : أنه كانت تعتريه نوبة عصبية شديدة بسبب اشتداد الحرارة في يونية ، وعظم الأمر على خاله فلم يجد بدا من نصائحه ، فابتدأ يزجره ، وهو يعصي أوامره .[٦١]

هذا بالنسبة للمجال الأسرى الذى عايشه ، أما بالنسبة لموطنه (ايران) فان مذاهب الشيعة تسيطر عليها ، وقد كان الباب «اثنا عشريا» ، لكنه تجاوز حدود ذلك المذهب ، وجمع بينه وبين آراء منحرفه في المذهب الباطني ، وفكرة الحلول التى قال بها السبئيون ، فجاء من هذا كله بمزيج واضح البعد عن العقيدة الإسلامية ، وقد أخذ فكرة الإمام المستور في المذهب « الاثنا عشرى» وطورها إلى فكرة (الباب) كما أن الرجل كان منصرفاً إلى دراسات نفسية ، وتأملات فلسفية ..[٦٢]

ولما رحل إلى العراق تعرف على مدرسة الشيخية وزعيمها أحمد زين الدين الاحسائي ، وكان يقوم بالأمر بعده تلميذه (كاظم الرشتي) الذى أشرنا إليه سالفا .

وتقابل الباب مع الرشتي وحدث بينهما امتزاج روحي ، وبعد فترة صار الرشتى يوجه انظار تابعيه الى انتظار المهدى ، ويدلهم على صفاته ، وذكرانه قريب منهم بل ويعيش بينهم ، وكان يشير إلى صفات الباب حيث كان يحضر دروسه ، وقد دل الرشتي أتباعه أن يهيئوا الطريق لظهوره ، وأن يطهروا أنفسهم لاشراق جماله ، وبعد وفاة الرشتى ادعي الباب انه المهدى ، ثم ادعى بعد ذلك النبوة .[٦٣] .

وهكذا نراه يتلقى علومه على يد تلميذ كاظم الرشتي ثم يتقابل مع الرشتى

---

(٦١) مفتاح باب الأبواب ، ص ١١٢ - ١١٣ .

(٦٢) الشيخ محمد أبو زهرة : تاريخ المذاهب الإسلامية، ص ٢٣٩ ، دار الفكر العربى .

(٦٣) راجع : محب الدين الخطيب : البهائية، ص ٥ ومفتاح باب الأبواب، ص ١١٤ - ١١٥ .

الذى هيأ أمام توجهاته الطريق .

٢ ـ **البهاء**(*) : ولد بايران ، وهي البيئة التي أفرزت الباب من قبل ، فالمؤثرات البيئية واحدة ، والبهاء التقي بالباب وادعى بعد وفاته انه خليفته ، وبالفعل صارت البهائية امتدادا للبابية .

نشأ البهاء في أسرة تتكون من والدين واخوته الستة ، وتربوا في حجر أبيهم بطهران ، وتعلموا ما تيسر من مباديء العلوم المتداولة في ذلك العصر .

كان البهاء محل نظر أبيه ، ومتميزا عن بقية اخوته ، ومن ناحية أخرى كانت تبدو عليه أمارات الذكاء الحاد ، وأحيانا ما تؤدى حدة الذكاء إلى عدم الاعتدال ومجاوزة الحد ، ترعرع في وسط المتصوفة ، وأكثر من معاشرتهم ، ومطالعة كتبهم ، وكان يكثر من النقاش في المسائل الإلهية ، ودقائق الحكمة ، حتى ان الحاضرين كانت تأخذهم الدهشة والحيرة .[٦٤] .

ومع هذه النشأة التي كانت تبشر بالخير فقد غلب على الرجل حب الرياسة وطلب الدنيا ، فتوجه شطر الباب يطلب عنده بغيته ، « ثم ما لبث أن خلط في ثقافته بين البرهمية ، والبوذية ، والكونفوشيوسية ، والزرادشتية ، والمانوية ، والمزدكية ، واليهودية ، والمسيحية ، والإسلام ، والفرق الباطنية ، ومذاهب الحلول ووحدة الوجود » .[٦٥]

كان لكل هذا الأثر الكبير فيما ادعاه هذا الرجل من باطل خاصة أن هذا الذى ادعاه صادف هوى في نفسه ، حيث كان يعشق الرياسة ويحب الشهرة والمال .

٣ ـ **القادياني** : نسبة إلى قاديان التى ولد بها سنة ١٢٥٢ هـ ، واسمه غلام أحمد وقاديان احدى قرى البنجاب وعاصمة لاهور بالهند ، وأول مايصادف القاريء للمذهب القادياني الشك في نسب أسرة غلام أحمد ، وهو الذى يثير الشك حول نسبه حيث يقول : « قرأت في كتب سوانح آبائي ، وسمعت من أبى : أن آبائي كانوا من الجرثومة المغولية ، ولكن الله أوحى إليّ : أنهم كانوا من بني فارس لا من الأقوام التركية » .[٦٦] .

---

(٦٤) مفتاح باب الأبواب ، ص ٢٣٥ .

(٦٥) عبدالله صالح الحمودي : البهائية والمؤمرات اليهودية ص ١٧٩ .

(٦٦) نقلا من الأستاذ الدكتور حسن عيس عبدالظاهر : القاديانية ، ص ٤٠ الهيئة القومية لشئون الطباعة الأميرية ، سنة ١٣٩٣ هـ.

وهكذا ومن أول وهلة نرى أن الأسرة التى نشأ فيها مجهولة النسب ، وأن غلام أحمد يفضل أن يكون أجداده من بنى فارس ، وينسب ذلك إلى الوحي الإلهي .

أما عن الهند مسقط رأسه فهو موطن النحل والمذاهب والعقائد المتناقضة ، فيه وثنية بربرية ، وتقديس للحيوان ، وايغال في الروحانية ، واعتقاد في وحدة الـوجود وتناسخ الأرواح ، ولذا نراها تتسع للهندوسية التى تؤمن بتعدد الآلهة وتقسم الناس إلى طبقات ، والبوذية التي دعا صاحبها إلى الزهادة والتقشف ، وبعد وفاته صنعت له التماثيل على أنه اله ، والسيخية : وهو مذهب مؤسس على المساواة ، والقول بالتناسخ ، والمسيحية ، وبها من الفلسفة ما بها ، وهي في مجملها متأثرة بالهندوسية في التثليث ، وبالبوذية في الرهبنة ، والاسلام الذي ظل بها ثمانية قرون حتى وقعت الهند تحت السيطرة الأجنبية .

أما ثقافته فتتخلص في اتقانه للكتب الفارسية ، وافتخاره بمعرفة علوم التنجيم والعرافة والدجل ـ فقد كان أبوه عرافا دجالا ـ وولوعه بكتب الباطنية والديانات القديمة ، ولم يتوغل في علوم الإسلام كالحديث والأصول والفقه ، والقليل الذى تلقاه من هذه العلوم تلقاه بنفسه بعيدا عن أستاذ يأخذ عنه .[٦٧]

ويتضح مما ذكرناه عن بيئته أنه قد تأثر بهذا المزيج الغير الإسلامي ، وأنه اعتمد في ثقافته على تراث غير إسلامي مع أن الرجل منسوب إلى الإسلام ، ولذا نراه يدعو إلى غير الإسلام باسم الإسلام .

ولا يفوتني أن أذكر أن معظم الذين كتبوا عن هذا الرجل قد اجمعوا على اعتلاله البدني والعقلي حيث كان يعاني من اضطرابات تؤثر على سلوكه وحركاته ، وكان يتبول على نفسه كثيراً من فرط مرضه ، وأصيب في شبابه بالهستريا ، وكان كثيرا ما يخر صريعا ، وقد أكثر من تناول النبيذ الطبيعى والأفيون ، وقد أدمن

---

(٦٧) راجع : د . أحمد عوف : القاديانية الخطر الذي يهدد الإسلام . دار النهضة العربية . ص ٢٤ ـ ٢٥ ، والشيخ : محمد الخضر حسين : القاديانية ، ص ٨٠ مجمع البحوث الإسلامية ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٧٠ م .

الأفيون حتى الجنون ، والغريب أنه كان يستدل باعتلاله ومرضه على نبوته .
فمن تأويلاته الباطلة قوله : « قد جاء في الحديث أن المسيح ينزل وعليه رداءان أصفران ، وهذا شأني ، فانني أعانى علتين احدهما : فى مقدم جسمي وهو الدوار الشديد الذي خربي الى الأرض ، وأخاف به على نفسي ، والعلة الثانية في أسفل الجسم وهي كثرة البول »(٦٨) .

ورجل بهذه الصورة بيئة وثقافة واعتلالا يكون ادعاؤه للنبوة من جملة ما كان يعتريه من خلل عقلى ونوبات عصبية .

ومن العرض السابق يتضح لنا مدى أثر البيئة الثقافية على هؤلاء المدعين .

الفصل الثالث
الرد على مدعي النبوة

الأدلة على ختم النبوات بنبينا محمد - ﷺ - ونسخ الشرائع والرسالات بالإسلام كثيرة ومستفيضة ومتنوعة ، فهذا أمر ثابت بالكتاب والسنة واجماع الأمة ، وهذا يعنى أن كل من ادعى النبوة بعده فهو ضال مضل ، وكذلك من يتبع هؤلاء المدعين ويؤمن بهم .

يقول الشيخ محمد الغزالى : « ومحمد خاتم المرسلين أكمل الله به صرح النبوات ، فإذا جاء من يدعي النبوة بعده فهو كاذب ، ومن صدقة فهو كافر »(٦٩) .

وتركز فكرة ادعاء النبوة عند من ادعاها على عقيدة خطرة وهي امكان الوحي والإرسال بعد رسول الله - ﷺ - ولأنهم يدعون الايمان برسول الله - ﷺ - وفي نفس الوقت يؤمنون بجواز الوحي والنبوة بعده ، فهم يجدون أنفسهم أمام نصوص صريحة تهدم دعواهم إمكان النبوة ، وتقطع بختم الرسالات بنبينا محمد

(٦٨) من كتاب براهين أحمدية ، ص ٢٠١ نقلا عن الأستاذ الدكتور حسن عيسى عبد الظاهر : القاديانية ص ٧١ .
(٦٩) عقيدة المسلم ، ص ٢٢٩ ، دار الكتب الاسلامية.

ـ ﷺ ـ لذا فهم يجنحون إلى تأويلها ، ويسلكون في ذلك مسلك الباطنية ، فنراهم لا ينكرون أن محمدا رسول ، بل وأنه خاتم النبيين ، ولكن لكلمة « خاتم » معنى يختلف عن معنى « آخر » عندهم ، وهذه محاولة غريبة تؤدى بهم إلى الجمع بين المتناقضات .

يقول القادياني : « هو ـ أى النبى ـ ﷺ خاتم الأنبياء بمعنى أنه وحده صاحب الختم لا غير ، وليس لأحد أن يحظى الا يفيض خاتمه ـ ﷺ ـ فلا صاحب للختم الآن الا هو ، وخاتمه وحده يكسب النبوة التى تستلزم أن يكون صاحبها من أمة محمد ـ ﷺ ـ .[٧٠]

وواضح من عبارته تلك أن أمر الارسال ممتد لا يتوقف وأن النبى هو الذى يختم ويطبع على نبوة من بعده ، ومن هنا فلابد أن يكون من أمته .

يقول القاديانى أيضا : « وانه لا نبى بعده الا من ارتدى برداء المحمدية على سبيل الظلية (التبعية) وذلك لأن الخادم لا يغاير مخدومه ، ولا الفرع ينفصل عن أصله »[٧١] بل نراه يذهب الى أخطر من هذا في التأويل كسلفه من الباطنية فيؤول لفظة « خاتم » بمعنى « زينة » فالنبى خاتم النبيين أى زينتهم وأفضلهم ، يقول الشيخ محمد الخضر حسن : « وداعية القاديانية يزعم أن خاتم النبيين بمعنى زينتهم أو سيدهم أو أفضلهم[٧٢] من هنا كان لابد أن نقف على مدلول هذه الآية ، وعلى معنى لفظة « خاتم » ولكي نحقق هذا الغرض لابد من العودة الى اللغة ثم نثنى باستعراض آراء المفسرين حول قوله « وخاتم النبين » كي نرد عليهم زعمهم ، ونستأصل الشجرة الخبيثة من جذورها .

أولا : في اللغة :

ورد في لسان العرب : ختم ، ختمه ، يختمه وختاما ، قال أبو اسحق : معنى ختم وطبع في اللغة واحد ، وهو التغطية على الشيء ، والاستيثاق من ألا يدخله شيء ، والختم : المنع ، والختم والخاتم والخاتم ، والخاتام ، والخيتام من

(٧٠) حقيقة النبوة ، ص ١٧٤ .
(٧١) المرجع السابق ، ص ٢٧ .
(٧٢) القاديانية ، ص ٧٧ ، مجمع البحوث الإسلامية .

الحلي كأنه أول وهله ختم به .

وختم فلان القـرآن : إذا قرأه الى آخره ، وختم الشيء يختمه ختما : بلغ آخـره ، وختـم الله له بخـير . وخاتم كل شيء وخاتمته : عاقبته وآخره وخاتم السورة آخرها . وقرأ عليه السلام : خاتمه مسك . وقال: أما رأيت المرأة تقول للعطار: اجعل خاتمه مسكا ، تريد آخره . . وختام القوم وخاتمهم ، وخاتمهم : آخرهم (عند اللحياني) .

ومحمد - ﷺ - خاتم الأنبياء ، والخاتم والخاتم من أسماء النبى - ﷺ - وفي التنزيل « وخاتم النبيين » أي آخرهم ، [٧٣] وترى الكلمة على ما أوردها لسان العرب تعني نهاية الشيء وآخره والطبع عليه بحيث لا يدخله شيء ولا يخرج منه ، ووردها بمعنى المنع يدور في نفس الفلك لأنها تعني منع دخول شيء آخر .

يقـول ابن فارس في معجم مقـاييس اللغـة : « الخـاء والتاء والميم أصل واحد ، وهو بلوغ آخر الشيء ، ختمت العمل ، وختم القارىء السورة ، فأما الختم وهو الطبع على الشيء فذلك من الباب أيضا ، لأن الطبع على الشيء لا يكون إلا بعد بلوغ آخره في الاحراز ، والخاتم مشتق منه ، لأنه به يختم . والنبي خاتم النبيين : لأنـه آخـرهم، وختام كل مشروب : آخره ، قال الله تعالى : «ختامه مسك » أى أن آخر ما يجدونه منه عند شربهم اياه رائحة المسك .

وفي المعجم الـوسيط : « ختم النحـل ختما وختاما : ملأ خليته عسلا ، وختم على الطعام والشراب وغيرهما : غطى فوهة وعائه بطين أو شمع أو غيرهما حتى لا يدخله شيء ولا يخرج منه شيء ، وهو مختوم .

وفي التنزيل : يسقون من رحيق مختوم ، وختم على فمه : منعه الكلام ، والخـاتم من كل شيء : آخـره ، وفي التنزيل (وخاتم النبيين) الخاتمة من كل شيء: عاقبته وآخره . [٧٤]

تعقيب :

من العرض السابق نجد أن معنى الكلمة في اللغة : الآخر والنهاية أو الطبع

(٧٣) ابن منظور : لسان العرب، ص ١١٠١ - ١١٠٢ ، طبعة دار المعارف.

(٧٤) المعجم الوسيط ، جـ ١ ص ٢١٨ ، مجمع اللغة العربية.

والختم أو التغطية ، ولا تعارض بين المعاني الثلاثة ، فإذا كانت بمعنى الآخر والنهاية فهو المقصود من الآية ، وإذا كانت بمعنى الطبع عليه بحيث لا يزاد فيه ولا ينقص منه فهذا يعنى أن رسول الله - ﷺ - هو الخاتم الذي طبع الله به سلسلة الأنبياء ، بحيث لا ينقص من هذه السلسلة ولا يزاد عليها ، فمن أنكر واحدا منهم أو اعتقد النبوة في غيرهم فقد خرج عن الملة ، هذا هو معنى الطبع لا كما ادعي القادياني ومن شاكله بأن النبي هو الطابع الذي يطبع نبوة الأنبياء بعده ، فإن اللغة لا تسعفه .

وإذا كانت بمعنى التغطية فكما فسرها اللغويون تغطية الشيء بحيث لا يدخله شيء ولا يخرج منه شيء ، فكأن رسول الله - ﷺ - هو الذي غطى الله به موكب الأنبياء والمرسلين ، فصار هذا الموكب بعده لا يخرج منه أحد ، ولا يدخله أحد .

أما تفسير المدعين لفظة الخاتم بمعنى الزينة والفضل فهذا ما لم نجد له أساساً عند اللغويين ، يقول الشيخ محمد الخضر حسين : « وداعية القاديانية يزعم أن خاتم النبيين بمعنى زينتهم أو أفضلهم ، و انتظرنا منه أن يأتي بشاهد على هذا من كلام العرب أو من كتب اللغة أو من أقوال أئمة التفسير فلم يفعل ، وذهب يعارض أئمة اللغة والتفسير بلغو من القول ، كأنه لا يشعر أن القرآن الكريم قول فصل وما هو بالهزل » .(٧٥)

ثانياً : أئمة التفسير وقوله تعالى « وخاتم النبيين » :

يجمع المفسرون قديما وحديثا على اختلاف مناهجهم في التفسير سواء كان بالمأثور أو بالرأي أو بهما على أن قوله تعالى : « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ، ولكن رسول الله وخاتم النبيين »(٧٦) يعني أن الله ختم النبوة والرسالة بسيدنا محمد - ﷺ - وأنه لا نبي بعد ، يقول ابن عباس « وخاتم النبيين ، ختم الله به النبيين

---

(٧٥) القاديانية، ص ٧٧.
(٧٦) الأحزاب : ٤٠.

قبله ، فلا يكون نبي بعده »[٧٧] .

ويقول الإمام الحافظ ابن كثير عن تفسير هذه الآية : نص في أنه لا نبى بعده ، وبذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول الله - ﷺ -» .[٧٨]

ويقول الإمام القرطبى : « رسول » بالرفع على معنى هو رسول الله وخاتم النبيين . . وخاتم قرأ عاصم وحده بفتح التاء بمعنى أنهم بهم ختموا فهو كالخاتم والطابع لهم . وقرأ الجمهور بكسر التاء بمعنى أنهم به ختمهم أي جاء آخرهم ، وقيل الخاتم والخاتم لغتان مثل طابع وطابع .

قال ابن عطية : هذه الألفـاظ عنـد جماعـة الأمة سلفا وخلفا متلقاة على العموم التام مقتضية نصا أنه لا نبي بعده - ﷺ - ويقول : قرأ ابن مسعود « من رجالكم ولكن نبيا ختم النبيين » .[٧٩]

والإمـام أبو السعود في تفسير هذه الآية يقول : « أى كان آخرهم الذي ختموا به ، وقرىء بكسر التاء أي كان خاتمهم ويؤيده قراءة ابن مسعود ولكن نبيا ختم النبيين » .[٨٠]

ويقول البيضاوى : « وآخرهم الذى ختمهم أو ختموا به على قراءة عاصم بالفتح ، ولو كان له ابن بالغ لاق منصبه أن يكون نبيا كما قال عليه الصلاة والسلام في ابراهيم حين توفي « لو عاش لكان نبيا»[٨١] هذا نص كلام البيضاوى .

ويقول الشيخ محيي الدين في حاشيته على البيضاوى : « لما كان ﷺ ، آخر النبيين ، صار بمنزلة الخاتم بالنسبة اليهم ، حيث ختموا به فسمي « خاتم النبيين » .[٨٢]

---

(٧٧) طاهر بن يعقوب الفيروز ابادي : تنوير المقباس في تفسير ابن عباس ، ص ٣٥٤ . مطبعة الأنوار المحمدية .

(٧٨) تفسير القرآن العظيم ، جـ ٤ ص ٤٩٣ .

(٧٩) أبـو عبـدالله محمـد بن أحمد بن أبي بكر القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، ص ٥٤٦٥ - ٥٤٦٦ ، المجلد الثامن دار الغد العربي ، ط ١ سنة ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م .

(٨٠) ارشاد العقل السليم ، جـ ٧ ص ١٠٦ دار المصحف .

(٨١) تفسير البيضاوى ، مطبوع على حاشية محيي الدين ، جـ ٢ ص ٦٦ المكتبة الاسلامية ، تركيا .

(٨٢) المرجع السابق ، ص ٦٦ .

وأفضلهم في آن واحد . والاقتصار على معني الزينة والفضل كما ذهب إلى ذلك المدعون لا أساس له في اللغة ولا مصدر له من معاجمها ، ولعل المدعون التقطوا كلمة الزينة والفضل من بعض الكتب التى ذكرته دون دليل أو سند .

٤ ـ ما ذهب إليه البيضاوى ، والشيخ محيي الدين في حاشيته عليه ، والشيخ الجزائري والزمخشري من أنه ﷺ لو عاش له ولد لكان نبيا ليس يجيد فالتلازم بين حياة أبنائه ﷺ ونبوتهم لا دليل عليه ، وأما الحديث الذى استندوا إليه في إبراهيم ولد النبي ـ ﷺ ـ « لو عاش لكان بينا » فهو امعان في الاستدلال على ختم النبوة برسول الله ـ ﷺ ـ فكأنه يقول لو عاش لكان نبيا لكنه لم يبق لأن نبيكم آخر الأنبياء هذا على افتراض صحة الحديث ، وان كنت لا استريح لذلك أيضا ولذا وجدت عند الإمام الألوسي كلاما جيدا في سند هذا الحديث ، يقول : « وفي سنده أبو شيبة ابراهيم بن عثمان الواسطي وهو على ما قال القسطلاني ضعيف ، ومن طريقه أخرجه ابن منده في المعرفة وقال : انه غريب ، وكأن النووى لم يقف على هذا الخبر المرفوع أو نحوه أو وقف عليه ولم يصح عنده ، فقال في تهذيب الأسماء واللغات : وأما ما روى عن بعض المتقدمين : لو عاش ابراهيم لكان نبيا فباطل وجسارة على الكلام على المغيبات ، ومجازفة وهجوم على عظيم ، ومثلة ابن عبد البر فقد قال في التمهيد : « لا أدري ما هذا فقد ولد نوح عليه السلام غير نبى ، ولو لم يلد النبى إلا نبيا لكان كل أحد نبيا لأنهم من نوح عليه السلام» .[٩٠] ونص الحديث الذي استندوا إليه مروى في سنن بن ماجه حدثنا عبد القدوس بن محمد حدثنا داود بن شبيب الباهلي حدثنا إبراهيم بن عثمان حدثنا الحكم بن عتيبة عن مقسم عن ابن عباس قال : لما مات إبراهيم بن رسول ﷺ قال « إن له مرضعاً في الجنة ولو عاش لكان صديقاً نبياً . . »

يقول في السنن « في الزوائد : في إسناده إبراهيم بن عثمان أبو شيبة قاضى واسط . قال فيه البخاري : سكتوا عنه ، وقال ابن المبارك : ارم به ، وقال ابن معين : ليس بثقة ، وقال : أحمد : منكر الحديث وقال النسائي : متروك

(٩٠) روح المعاني ، جـ ٢٢ ، ص ٢٣ ، دار احياء التراث العربي والحديث المذكور في سنن ابن ماجة في الجنائز باب ٢٧ راجع المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى حـ ٤ ص ٤٤٨ .

الحديث وهذه الأقوال من هؤلاء الأئمة في هذا الراوي تكفي لرد هذا الحديث وعدم صحته .

٥ - ربما يدعى أحد الدجالين أن الله قال « وخاتم النبيين » ولم يقل وخاتم المرسلين وهذا يعني أنه ليس خاتما للمرسلين ، فالآية تنفي أن يكون بعده نبى ولا تنفي أن يكون بعده رسول . والجواب على ذلك أن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة فإن كل رسول نبي ولا ينعكس ، فإذا نصت الآية على أنه لا نبى بعده فلا رسول بعده بالطريق الأولى .(٩١)

وعلى رأي من قال أنه لا فرق بين النبوة والرسالة ولا بين النبى والرسول فلا اشكال هنا ولذلك إذا ثبت انه لا نبى بعده ثبت أنه لا رسول بعده ، فإن الرسول اما مساو للنبى مستلزم له ، ونفي أحد المتساويين يستلزم نفي الآخر أو أخص منه ونفي الأعم يستلزم نفي الأخص لا محالة .(٩٢)

٦ - لقد بينا سالفا عن اللغويين أن لفظة الخاتم واحتمالها لأكثر من معنى لا يعني اختلاف هذه المعاني ، فالآخر ، والنهاية ، والطبع والمنع والتغطية تنتهي كلها إلى معنى الآخرية لأن الطبع والتغطية لا يتحققان إلا عند نهاية الشيء وآخريته ، ولكن لو افترضنا جدلا أن الكلمة تحتمل معاني كثيرة ومن هذه المعاني ما لا يدل على الآخرية ، فتكون اللفظة من باب العام أو المطلق ، وحينئذ ينبغى أن نعود إلى السنة التى من أول أغراضها تخصيص العام وتقييد المطلق ، وعلى هذا فلا يحمل اللفظ إلا على المعنى الذي خصصته السنة وهو كونه ﷺ آخر الأنبياء والمرسلين .

أما تصريح السنة بأنه ﷺ آخر الأنبياء والمرسلين فهذا ما سوف نبينه فيما يلى ان شاء الله تعالى .

ثالثاً : السنة وختم النبوة :

يقول الامام ابن كثير : « والأحاديث في هذا - يعني في ختم النبوة - كثيرة . . فقد أخبر الله تبارك وتعالى في كتابه ، ورسوله ﷺ في السنة المتواترة عنه

(٩١) ابن كثير ، جـ ٤ ص ٤٩٣ ، تفسير القرآن العظيم ، مطبعة البابي الحلبي .
(٩٢) الشيخ محمد الخطيب : الجنة في عقيدة أهل الجنه ، ص ٧٧ مطابع غباشى بطنطا .

أنه لا نبي بعده ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفاك ، دجال وضال ومضل ، ولو تخرق وشعبذ وأتي بأنواع السحر والطلاسم والنيرنجيات ، فكلها محال وضلال عند أولى الألباب » كما أجرى الله تعالى على يد الأسود العنسي باليمن ، ومسيلمة الكذاب باليمامة من الأحوال الفاسدة والأقوال الباردة ما علم كل ذي لب وفهم وحجي أنهما كاذبان ، وكذلك كل مدع لذلك إلى يوم القيامة حتى يختموا بالمسيح الدجال .(٩٣)

ومن هذه الأحاديث :

١ ـ ما رواه البخاري بسنده عن أبي هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال : « ان مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بني بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ، ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين» .(٩٤) .

٢ ـ عن أنس ـ رضى الله عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ قال : ان الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدى ولا نبى قال : فشق ذلك على الناس فقال : ولكن المبشرات قالوا : وما المبشرات يارسول الله ؟ قال : رؤيا الرجل المسلم وهي جزء من أجزاء النبوة » .(٩٥)

٣ ـ وروى الترمذي حديث : « فضلت على الأنبياء بست ، ذكر النبى ـ ﷺ ـ وسلم منها : وختم بي النبيون»(٩٦) .

٤ ـ عن العرباض بن ساريه قال : قال ﷺ : اني عند الله لخاتم النبيين ، وان آدم لمنجدل في طينته» .(٩٧)

٥ ـ قال الزهري : أخبرنى محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه ـ رضى الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : ان لي أسماء أنا محمد وأنا أحمد ،

---

(٤٣) تفسير القرآن العظيم ، جـ٤ ص ٤٩٤ .
(٩٤) البخاري بشرح السندي جـ ٢ ص ١٨٢ ، باب ختم النبيين ، الحلبي .
(٩٥) رواه الترمذي عن الحسن بن محمد الزعفراني عن عفان بن مسلم وقال صحيح غريب .
(٩٦) رواه الترمذي وابن ماجة من حديث اسماعيل بن جعفر، قال الترمذي : حسن صحيح .
(٩٧) رواه الامام احمد .

وأنا الماحي الذي يمحو الله تعالى بي الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي ، وأنا العاقب الذي ليس بعده نبى»[98] وفي الموطأ حتى قوله « وأنا العاقب » .

٦ ـ وتفرد الامام أحمد بحديث للنبي ـ ﷺ ـ يقول فيه : « أنا محمد النبى الأمي ـ ثلاثا ـ ولا نبى بعدى » .

٧ ـ وعن أبي هريرة رضى الله عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ قال : نصرت بالرعب ، وأوتيت جوامع الكلم ، وفي رواية عنه «وختم بي النبيون» .[99] .

٨ ـ ويذكر النبي ـ ﷺ ـ بأن أمته آخر الأمم ، وتلك نتيجة حتمية لكونه آخر الأنبياء ، يقول ﷺ : « وأنا آخر الأنبياء ، وأنتم آخر الامم » .[100]

٩ ـ وذكر أن مسجده آخر المساجد عن أبي هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « فاني آخر الأنبياء ، وان مسجدى آخر المساجد» .[101] .

والتعبير الوارد عن كونه آخر الأنبياء وخاتم المرسلين في الاحاديث صريح وقطعي الدلالة في معناه ولا يحتاج إلى تأويل مثل أقواله « لا رسول بعدي ولا نبى » « ولا نبى بعدى » « أنا آخر الأنبياء » « أنا العاقب الذي ليس بعده بنى » . فهذه العبارات الواردة في الاحاديث ليست في حاجة الى بيان كونها أدلة صريحة على ختم النبوة بنبينا محمد ـ ﷺ ـ .

ادعاء النبوة دليل على صدق النبي ـ صلى الله عليه وسلم :

لا يفوتني وأنا أتحدث عن السنة أن ألفت النظر إلى هذا الاعجاز النبوى ، حيث أخبر الرسول ـ ﷺ ـ أنه سيأتي بعده كذابون دجالون يدعون النبوة والوحي ، فلو خلى الزمان منذ بعثته حتى الآن من ادعاء النبوة لكنا في انتظارهم

---

(٩٨) أخرجاه في الصحيحين .

(٩٩) القاضى عياض : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، ص ١٣٣ ، مكتبة دار التراث .

(١٠٠) رواه ابن ماجة ، جـ ٢ ص ١٣٥٩ .

(١٠١) رواه مسلم . جـ ٢ ، ص ١٠١٣ .

تحقيقـا لكـلامه ﷺ أما أنه من بعثته حتى الآن قد وجدنا عشرات من الناس يدعون النبوة ، فهذا في حد ذاته دليل على صدقه ـ ﷺ ـ من ناحية وعلى أنه خاتم الأنبياء من ناحية أخـرى يقول ﷺ : لا تقوم الساعة حتى يبعث الله دجالين كذابين قريبا من ثلاثين ، كلهم يزعم انه رسول الله »[١٠٢]

ويقول الشيخ الغزالى: « فإذا جاء من يدعي النبوة بعده فهو كذاب ومن صدقة فهو كافر وقد ظهرت طوائف من الحمقى تتبع رجلا اسمه « البهاء » يدعي النبوة ويطوون نحلتهم وراء قناع من التمسح بالإسلام واظهار التصديق به ، وبغيره من الأديان ، وهم ليسوا من دين الله في شيء ، وبهاءهم دجال، وتعاليمه زور وبهتان ، وليس بعد القرآن وحي » .[١٠٣]

رابعاً : اجماع الأمة :

يذكر الشيخ الألوسي أن ختم النبوة مما أجمعت عليه الأمة ، واشتهرت فيه الأخبـار وبلغت مبلغ التواتر ، ونطق به الكتاب ، ووجب الايمان به ، وأكفر منكره كالفلاسفة[١٠٤] ومدعي النبوة وأتباعهم . ويذكر الإمام أبو حامد الغزالى أن من ينكر ختم النبوات بنبينا ـ ﷺ ـ لا يكون الا منكر الإجماع ، فإن الأمة فهمت بالإجماع من اللفظ ومن قرائن أحواله ـ ﷺ ـ عدم نبي بعده أبدا ، وعدم رسول بعده أبدا ، وأنه لا تأويل فيه ولا تخصيص » .[١٠٥]

ويعود الشيخ الألوسي ليقول : « وكونه ﷺ خاتم النبيين مما نطق به الكتاب وصدعت به السنة ، وأجمعت عليه الأمة فيكفر مدعي خلافه ويقتل ان أصر .[١٠٦]

بعد هذا البيان من الكتاب والسنة واجماع الأمة على ختم النبوة والرسالة برسولنا الكريم يتأكد لدينا أنه لا مساومة في عقائدنا ولا مداهنة حول مرجعيتنا المتمثلة في الكتاب الكريم والسنة المطهرة .

(١٠٢) صحيح البخاري ، جـ٢، ص ١٩١.
(١٠٣) عقيدة المسلم ، ص ٢٢٩ ، دار الكتب الاسلامية .
(١٠٤) روح المعاني ، جـ ٢٢ ، ص ٣٤.
(١٠٥) الاقتصاد في الاعتقاد . ص ١٢٢ ـ ١٢٣ ، طبعة الحلبى .
(١٠٦) روح المعاني ، جـ ٢٢ ، ص ٤١ دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

وحتى لو أتي مدعو النبوة بالأمور الخارقة فهي غي وهوى ، ولا يتصور أن يأتي أحـد بعـده ﷺ بمعجزات وبراهين ، فهذا من باب فرض المحال ، وقد أخبرنا سبحانه بأنه ﷺ خاتم الأنبياء ، فمن المحال أن يؤيد الله هؤلاء المدعين الكذابين لأن دعواهم بسبب هوى النفس لا عن دليل .

لم كان محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ خاتم الأنبياء والاسلام خاتم الرسالات ؟

أقصد بهذا العنوان تلمس الأسباب وراء عقيدة ختم النبوة برسولنا ـ ﷺ ـ وأعتقد أن السبب في ذلك يتلخص في أن رسولنا محمدا ـ ﷺ ـ قد جاء برسالة شاملة كاملة ما تركت معروفا الا وبه أمرت ، ولا منكرا الا وعنه نهت ، وما تركت أمرا فيه مصلحة البشرية الا ونبهت عليه ، ولا أمرا فيه فساد أمرها الا ونفرت منه ، وهي بهذا الكمال والشمول صالحة لكل امة ، في أى مكان وفي أي زمن .

ان الدين بهذه الرسالة قد كمل ، والنعمة قد تمت لقول الله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الاسلام دينا » . (١٠٧)

يقـول الإمـام ابن كثـير : « أخـبر الله ـ ﷺ ـ والمؤمنين أنه قد أكمل لهم الايمان ، فلا يحتاجون إلى زيادة أبدا ، وقد أتمه فلا ينقصه أبدا ، وقد رضيه فلا يسخـطه أبـدا»(١٠٨) . . ورسـالة الاسلام بهذه السمات لابد وأن تكون رسالة خاتمة ، ونبي يأتي بمثل هذه الشريعة التامة والكافيةالي يوم الساعة حتما يكون آخر الأنبياء . ولذا فان الرسالة التي حملها النبي ـ ﷺ ـ بين يديه دليل على أنه خاتم الأنبياء والمرسلين .

يقول الشيخ محمد الخطيب : « وانما كان ـ ﷺ ـ خاتم النبيين لأن شريعته مشتملة على ما يهذب ويطهـر الـروح ، مبيحة لذائذ الحياة وطيباتها في حدود التوسط والاعتدال ، وافية لمصالح الناس جميعا على اختلاف أحوالهم وعاداتهم في كل زمان ، فشريعته أتم الشرائع وأوفاها بحاجة الانسان في معاشه ومعاده ،

---

(١٠٧) المائدة : ٣ .

(١٠٨) تفسير القرآن العظيم ، جـ ٢ ص ١٢ .

ولذا كانت آخر الشرائع وسنة الترقي تنتهي بالكمال ، وكانت ناسخة لكل شريعة قبلها ، وكان صاحبها خاتم النبيين وآخر المرسلين » .[١٠٩]

ويبين د . عبدالفتاح بركه أن النبوة تدرجت إلى ختامها ، والشريعة الى كمالها ، فبعد استعراضه للنبوات والشرائع قبل رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : « حتى إذا استوفت كل أمة حظها المقدر لها من الرسالات ، واستوفت ما قدر لها من الشرائع والمناهج ، وأصبحت الإنسانية مهيأة بصورة عامة من نواحيها الفكرية والنفسية والعلمية لاستقبال رسالة عامة تحيط بأسس المناهج ، كانت النبوة والرسالة الخاتمة »[١١٠] وصدق الله تعالى : « وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته »[١١١] .

وإذا كان العلماء قد أخذوا من أحكام الاسلام عقيدة وشريعة وعبادة وأخلاقاً دليلا على ختم هذه الرسالة للرسالات ، فإنني أستدل بما سنه مدعو النبوة من أحكام دليلا على كذبهم وخداعهم وسقوط دعواهم ، فمنهم من أحل لأتباعه الزنا وأباح اللواط ، ومنهم من أباح نكاح المحارم ، وشرب الخمر، والتعامل بالربا ، وباختصار شديد فقد رفعوا من على كاهل أتباعهم كل التكاليف ، وأولوا كتاب الله تعالى في تلك الأمور تأويلات فاسدة .

وهذا هو السر في كثرة أتباعهم أحيانا حيث صادفت تلك الاباحية هوى في نفوس ضعاف العقول والقلوب ، وأصحاب الشهوات ، وعبيد النزوات ، لقد وجدوا بغيتهم ، حيث انهم كانوا يتحللون من التكاليف سرا وخفاء ، أما الآن فقد أصبح التحلل منها دينا ، وأوهموا أنفسهم ـ مع هذا التحلل ـ أنهم أصحاب دين ورسالة ، وصدق الله تعالى : « قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا ، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » .[١١٢] .

لهذا فإن أحكامهم التى شرعوها لأتباعهم كانت من أول الأدلة على هدم دعواهم ، فإذا كان رسولنا ـ ﷺ ـ يحمل بين يديه رسالة هي بأحكامها دليل على

(١٠٩) الجنة في عقيدة أهل الجنة ، ص ٧٨ .
(١١٠) راجع : الرسول الكريم خاتم النبيين ، ص ٣٢ ـ ٣٥ مجلة الأزهر ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٦ م .
(١١١) الأنعام : ١١٥ .
(١١٢) الكهف : ١٠٣ ـ ١٠٤ .

ختمة للنبوات ، فإن المدعين حملوا بين أيديهم ما يدل على كذبهم وضلالهم .

ولا أدرى كيف كانوا مع ذلك يدعون الايمان برسالة سيدنا محمد - ﷺ - فهل يجتمع ادعاء الايمان به والكفر بكلامه ، فهو الذى قال : « نا آخر النبيين » وهو الذي أخبر أنهم وأمثالهم من الكذابين .

وهكـذا نجد المدعين يتناقضون مع أنفسهم عندما يحلون ما حرم الأنبياء والرسل ، أن اباحيتهم تتعارض مع زعمهم ، فهل يمكن أن يرسل الله أنبياء يحلون حرامـا أو يحرمـون حلالا ، كما أنهم يتنـاقضون عندما يزعمون الايمان برسالته - ﷺ - ثم يكفرون بشريعته ويؤولون مالا يقبل التأويل من نصوصه .

وقبل ذلك وبعده فهم يتناقضون مع صريح الكتاب والسنة ، ويخرجون على اجماع الأمة ، ولذا فانهم قد ضلوا وأضلوا .

وهناك آفاق أخرى للبحث فى هذا الموضوع اضطررت لتركها نظرا لضيق المساحة ، ولعل ما قدمته في هذا البحث يؤدى الغرض المطلوب ، ولما كان الكمال لله وحده فانني أسأله سبحانه وتعالى أن يعفو عما فيه من زلات .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .